المديح النبوي

في شعر ابن الجنَّان الأندلسي المتوفى (نحو ٦٥٠ هـ)

دراسة تحليلية فنية

إعداد

د / عبدالعظيم عبدالرؤوف عبدالعظيم أبوعلي

مـــدرس الأدب والنـــقـد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع جامعة الأزهر بالسادات

١٤٤٢ هـ = ٢٠٢٠م

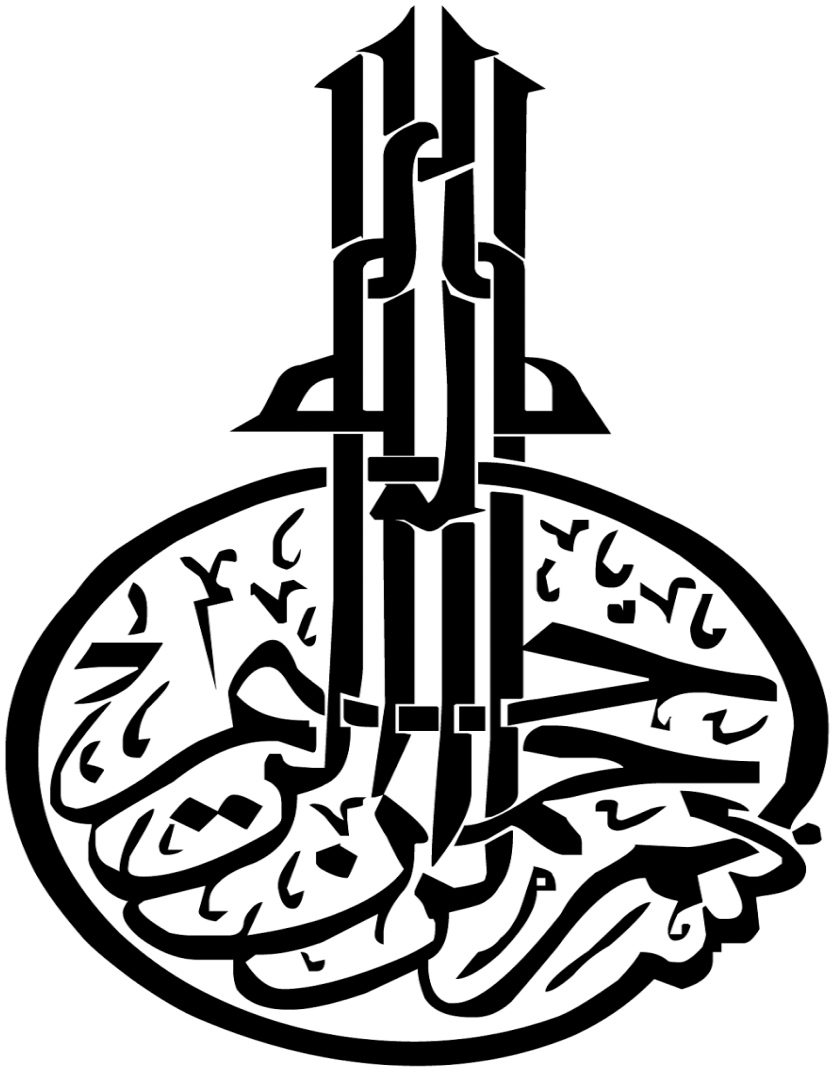

المديح النبوي في شعر ابن الجنّان الأندلسي المتوفى (نحو ٦٥٠هـ) دراسة تحليلية فنية

عبدالعظيم عبدالرؤوف عبدالعظيم أبوعلي.

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر، السادات، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني:

AbdElazeemAbderaof.419@azhar.edu.eg

الملخص

يهدف هذا البحث إلىٰ الوقوف علىٰ سيرة النبي العطرة وأفعاله الحسنة، من خلال شعر ابن الجنّان الأندلسي، فقد انماز عن شعراء الأندلس بسمات خاصة في مديحه النبوي، كما يهدف إلىٰ معرفة ما إذا سار ابن الجنان في مدائحه علىٰ نهج السابقين؟ أو جدد في مدائحه من حيث الشكل والمضمون؟ وهل كانت مصادر ثقافته العلمية والثقافية محدودة، أو منفتحة؟

أما عن **المنهج المتبع** في دراستي فهو المنهج التحليلي الفني.

وقد توصل البحث لعدة نتائج أهمها مايلي:

استوعبت نبويات ابن الجنّان مقاطع متعددة من حياة الرسول –صلىٰ الله عليه وسلم–واستعرضت مواقف تفصيلية لسيرته العطرة، دلت علىٰ ثقافته الدينية الواسعة وخبرته الفنية في توظيفها في شعره. كما نوّع الشاعر وجدد في أشكال المدائح النبوية كي تساير الإنشاد وتتناسب والمجالس الأدبية. كما دلت أشعاره في المديح النبوي علىٰ أن الشفاعة نالت الجانب الأكبر من موضوعاته المدحية.

وفي الجانب الفني سادت عاطفة الشاعر الدينية جُل قصائده النبوية، في تدفق ثابت طوال قصائده، كما اتسم معجم ابن الجنَّان بظاهرة تكرار بعض الألفاظ والعبارات لإحداث تأثير في المتلقي، صانعا نغمة موسيقية وإيقاعا عذبا داخليا عمل علىٰ إظهار قيمه الفكرية والنفسية علىٰ حد سواء.

الكلمات المفتاحية: مديح- نبوي- ابن الجنَّان- تحليلية- فنية.

Prophetic praise in the poetry of Ibn al-Jinan Al-Andalus The deceased (about 650 AH)-Technical analytical study

Abdul Azim Abdul Raouf Abdul Azim Abu Ali
Department of Literature and Criticism, College of Islamic Studies, Al-Azhar University, Sadat, Arab Republic of Egypt.
Email: AbdElazeemAbderaof.419@azhar.edu.eg

Abstract

This research aims to find out about the prophet's fragrant biography and his good deeds, through the poetry of Ibn al-Jinan al-Andalus, as he distinguished from the poets of Andalusia with special features in his prophetic praise. It also aims to find out whether Ibn al-Jinan followed his praises in the manner of the previous ones? Or renewed praise in terms of form and content? Were the sources of his scientific and cultural culture limited, or open?

As for the approach followed in my studies, it is the technical analytical method.

The research has reached several results, the most important of which are: Ibn al-Jinan's prophecies included multiple passages from the life of the Messenger - may God bless him and grant him peace - and presented detailed positions of his fragrant biography, which indicated his broad religious culture and his artistic experience in employing them in his poetry. The poet also diversified and renewed the forms of prophetic praise in order to match chanting and suit literary councils. His poems in praise of the Prophet also indicated that the intercession attained the greater part of his praising themes. On the artistic side, the poet's religious affection prevailed over most of his prophetic poems, in a steady

flow throughout his poems, and Ibn al-Jinan's dictionary was characterized by the phenomenon of repeating some words and phrases to affect the recipient, creating a musical tone and a sweet inner rhythm that worked to show his intellectual and psychological values alike.

Key words: Praise - prophetic - ibn al-Jinan - analytical - artistic.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونسلم علىٰ سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم ،،،

وبعد،،،،

فإن الناظر للمدائح النبوية علىٰ امتداد العصور يجدها قد احتلت مكانة كبيرة في الشعر العربي، وتميزت بالكثرة والشمولية، إذ حاولت الإحاطة بذكر الشمائل المحمدية والسيرة النبوية العطرة، وتعداد صفاته، وسرد معجزاته الفريدة، وأفعاله المجيدة، وقد ازدهرت هذه المدائح في بلاد الأندلس بداية من القرن السادس الهجري، أي قبل شيوعها في المشرق، وتبلورت وازاد ازدهارها في القرن السابع الهجري علىٰ يد ابن الجنَّان الأنصاري، الذي يعد من أشهر شعراء هذا القرن في المديح النبوي فقد مدح الحبيب-ﷺ- وعدد صفاته وسرد معجزاته وأفعاله، ومصليا عليه طالبا منه الشفاعة يوم الحساب. فقد ازدهر الشعر الديني في عصر الموحدين؛ نظرا لما آل إليه المسلمون من تردي أحوالهم وسقوط بلدانهم، فكان الملاذ الآمن هو الرجوع إلىٰ الله والتضرع بالدعاء والذكر، فباتت قصائد المديح النبوي وسيلة للفرار إلىٰ الله وملجأ وملاذا إليه.

وقد تميز ابن الجنَّان الأندلسي بسرد معجزات النبي ﷺ وذكر صفاته وفضائله فيما يعرف بالنبويات، كما كثرت قصائده في الجانب الإلهي فكلما ذكر المولىٰ جل وعلا ذكر رسوله الكريم مسلما ومصليا عليه، وبذلك كثرت مدائحه في النبي -ﷺ- حتىٰ عرف بشاعر المديح النبوي، حيث أجاد في هذا الغرض الشريف مثل مخمسته المشهورة التي تنشد من قبل عدد من المنشدين المعاصرين؛ لذا اتخذت شعر ابن الجنَّان الأندلسي ميدانا لدراستي فكان

موضوعي (المديح النبوي في شعر ابن الجنَّان الأندلسي دراسة تحليلية فنية) فضلا عن رغبتي الملحة في دراسة هذا الفن؛ لحبي للرسول الكريم -ﷺ- ولأقف علىٰ سيرته العطرة وأفعاله الحسنة من خلال شاعر لم يكتب له الظهور والذيوع كالبوصيري في المشرق، ولسان الدين ابن الخطيب في الأندلس. حيث تميز شعراء الأندلس بسمات خاصة في مديحهم النبوي، ولا سيما ابن الجنّان الأنصاري، فهل سار ابن الجنان في مدائحه علىٰ نهج السابقين؟ وهل جدد فيها من حيث الشكل والمضمون؟ وهل كانت مصادر ثقافته العلمية والثقافية محدودة، أو منفتحة؟

الدراسات السابقة

رسالة ماجستير بعنوان شعر ابن الجنان الأندلسي دراسة تحليلية نقدية، للباحثة أميرة أحمد خليل، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ٢٠١٤م، وقد تناولت شعره إجمالا من شعر ديني وتهان ورثاء، ومن الدراسات السابقة: دراسة في شعر ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي، للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، كلية الآداب جامعة الموصل، وقد تناولت هذه الدراسة عدة موضوعات لشعر ابن الجنّان بصورة موجزة، كالإلهيات والنبويات، والتهاني والتبريكات والرثاء وغير ذلك إلا أنها لم تختص بدراسة المديح دراسة تحليلية فنية علىٰ حدة. ومن الدراسات السابقة رسالة دكتوراة بعنوان: شعر ابن الجنّان الأندلسي دراسة فنية تحليلية، للباحثة أميرة أحمد خميس، بجامعة بنها.

ورسالة دكتوراة بعنوان: شعر ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي دراسة أسلوبية، للباحث جميل غلاب، بكلية دار العلوم جامعة المنيا، وبحث بعنوان

ابن الجنان الأندلسي ..شاعر المديح النبوي. للباحث محمد طاهر الصفار. علىٰ شبكة الإنترنت.

واقتضت طبيعة بحثي أن يكون في مقدمة وتمهيد، ومبحثين:

وكان التمهيد بعنوان التعريف بالشاعر والمديح، وتناولت فيه التعريف بابن الجنَّان ومفهوم المديح .

والمبحث الأول: عني بدراسة الموضوعات المدحية للنبي-ﷺ- واشتمل علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: طلب الشفاعة والحنين إلىٰ الأماكن المقدسة.

المطلب الثاني: الثناء علىٰ الرسول وتعداد معجزاته ﷺ.

والمبحث الثاني: انصب علىٰ الدراسة الفنية لهذه الموضوعات، وتناولتُ فيه عدة مطالب:

المطلب الأول: المعجم الشعري.

المطلب الثاني: العاطفة.

المطلب الثالث: الصورة الفنية.

المطلب الرابع: الموسيقىٰ الشعرية.

ثم انتهي البحث بخاتمة اشتملت علىٰ أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وعقبته بثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات .

وقد اتبعت المنهج الفني التحليلي في هذه الدراسة، سائلا المولىٰ جل وعلا أن يكون عونا علىٰ إتمامها علىٰ الوجه الأمثل.

هذا والله من وراء القصد

التمهيد: التعريف بالشاعر والمديح

أولا: التعريف بالشاعر:

هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، ولد في مدينة (مرسية) سنة ٦١٥ هجرية و نشأ نشأة أقرانه أو مثل أبناء عصره، وتعلم في وقت مبكر من حياته .

وقد عرف بابن الجنَّان وقد تلقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس، عاش في القرن السابع الهجري، عصر الموحدين حيث شهد في حياته بالأندلس مجد الدولة الموحدية، كما شهد انحسارها وضعفها.[1]، ويرجع نسبه إلىٰ الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام).

كما عرف شاعرا ذكيا نابغا كما تحدثنا المصادر، فكان " لطيف الشمائل وقورا، أما عن صفاته الخَلْقيّة، فقد ورد أنه كان مفرطًا في القماءة[2]، حتىٰ يظن رائيه إذا استدبره أنه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها، ولله درّه إذ استبدله الله محاسن الخُلق بقماءة خَلقه .. فقد كان ذكره عطراً في حياته وبعد مماته"[3] ومما يدل علىٰ تمكنه وبلاغته في القول ما نلحظه في كتاباته حيث "كان بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته، وكان محدثا، ضابطا، كاتبا، بليغا، شاعرا، رائق الخط، ديِّنا فاضلا ، خيِّرا ذكيا، استكتبه بعض أمراء الأندلس"[4] وبذلك نبغ في الكتابة الفنية والشعر والخط .

---

(١) ديوان ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، صـ٩، طبعه سنة ١٩٩٠م. د.ط

(٢) القماءة : وهو مرض يصيب جهاز الغدد الصماء، و الذي يصاحبه انخفاض نشاط الغدة الدرقية. وهو مرض شائع الىٰ حد كبير يظهر عادة في مرحلة الطفولة.

(٣) ديوان ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، صـ٩، طبعه سنة ١٩٩٠م. د.ط

(٤) نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، المقري، تحقيق إحسان عباس، بيروت دار صادر ج٧/ ٤١٦

ثقافته:

تدلنا الأخبار أنه"كان محدثا راوية، ضابطا كاتبا بليغا شاعرا بارعا"[1] أما المقري، فقد أعرب عن إكباره له، وأشار إلىٰ سعة أخباره، وجودة أدبه فقال: "وترجمة ابن الجنَّان واسعة جداً، وكلامه في النَّبويات نظمـًا ونثراً جليل رحمه الله.[2] فقد برع في النثر كما برع في قرض الشعر، بل كان معدودا من أعلام النثر في عصره.

نال الشاعر الحيف والإهمال من الدارسين المحدثين، إذ لم تتلبث كتبهم عنده، باستثناء كتابين هما، سعادة الدارين ليوسف النبهاني، إذ ساق له أربع قصائد في ثلاثة وسبعين بيتـًا، والحلل السندسية لشكيب أرسلان (ت٧٦٦ هـ)، إذ ساق له قصيدة واحدة في خمسة وثلاثين بيتـًا.[3] والمطالع لشعره يجد سلامة لغته ومتانة سبكه، وجمال صياغته، وبعده عن التكلف. وقد نظم ابن الجنَّان في جل موضوعات الشعر العربي، وقد نأىٰ عن الأغراض التي تتنافىٰ مع شخصيته الدينية كالغزل والهجاء الفاحش، وقد نظم ابن الجنان الأنصاري في شعر الإلهيات ما يقارب نصف الديوان، يليه شعر النبويات وإن كان شعر الإلهيات لا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٢/ ٣٤٨، للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/ محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة. تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات – الأندلس) د/ شوقي ضيف ص٤٨٤ طبعة دار المعارف الطبعة الثانية–القاهرة. وتاريخ الأدب العربي عمر فروخ ج٦/ ١٩٦ .طبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان سنة ١٩٨٤م.

(٢) ديوان ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، صـ٩، طبعه سنة ١٩٩٠م. د.ط. و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، ج٧/ ٤٣١

(٣) ديوان ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي، صـ٩.

ينفك عن النبويات فحيثما ذكر الشاعر المولىٰ جل وعلا ذكر النبي -ﷺ- مسلما ومصليا عليه، في أسلوب فني بديع.

وقد اقتصر مديحه علىٰ المصطفىٰ ﷺ، بذكر فضائله ومحاسنه، وتعداد معجزاته فلم يتجه اتجاه مدح الأمراء والخلفاء والوزراء من أصحاب السلطان، مما يدل علىٰ صدق عاطفته ومدىٰ حبه للرسول -ﷺ.

وفاته :

توفي في بجاية سنة (٦٥٠ هـ) عند ابن الخطيب، إلا أن الدكتور منجد مصطفي في تحقيق ديوانه يرىٰ ويرجح "أن ابن الجنَّان توفي قبل أن ينهي ابن المرابط من تأليف كتابه سنة ٦٤٨ه، وذلك لأنه استخدم عبارات الترحم علىٰ الشاعر مقرونة به، ومن هنا يمكن أن نقرر أن وفاته كانت بين سنتي ٦٤٦و٦٤٨ هـ"[1] .

(١) ديوان ابن الجنَّان الأنصاري الأندلسي، صـ١٥.

ثانيا: مفهوم المدح:

جاء في لسان العرب لابن منظور"المدحُ نقيضُ الهِجاءِ، وهو حُسْن الثناءِ، يقال: – مَدحتَهُ مِدحَةً واحدةً، وَمدحَه يمْدحه، مَدْحًا ومِدحَةً. هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدحَ المصدرُ والمِدحَةَ الاسم، والجمعُ مِدَحُ، وهو المديحُ والجمع المدائِحُ والأماديح"[1]، ومدحه أحسن الثناء عليه.[2]

ما يقال أثناء حياة الفرد يسمي مدحًا، وما يقال بعد الوفاة يسمي رِثاء "ولكنه في الرسول يسمىٰ مدحًا، ويمكن القول بأن الثناء علىٰ الميت لا يسمىٰ رِثاء،إلا إذا قيل في أعقاب الموت، وبذلك يقصد به إعلان الحزن والتفجع،علىٰ حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلىٰ الله، بنشر محاسن الدين، والثناء علىٰ الرسول".[3] وبذلك يكون المديح النبوي هو الفن الذي يتناول النبي –ﷺ– بالثناء والإعجاب وذكر فضائله وخصاله الحميدة، وتعداد معجزاته الفريدة.

فالمدائح النبوية التي نظمها الشعراء المسلمون في مدحه ﷺ، ذكروا فيها صفاته الخُلقية والخِلقية، وطلب الشفاعة منه، والشوق لزيارة قبره، وذكر معجزاته الفريدة. وبذلك فالمديح النبوي يربو عن معاني المديح العربي قيما أخرىٰ، وصفات مثلىٰ لمدح سيد البشرية رسول الله –ﷺ– لذلك اتسعت معاني المديح، من ذكر معجزاته، وبيان صفاته، وعظمته وتتبع سيرته العطرة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (م/ د/ ح).

(٢) القاموس المحيط (م/ د/ ح).

(٣) المدائح النبوية د/ زكي مبارك ص ١٧ . طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

إن المديح النبوي فن شعري خالص"لايخالطه رياء ولا يشوبه ريب، وكان المديح النبوي المضمون السامي لشعر انتشر انتشارا كبيرا بين الناس"[1] والمطالع لعهد الموحدين يجده يمّثل الذروة في ازدهار الشعر الديني، من إلاهيات ونبويات فانتشر الشعر الصوفي الذي يتقرب فيه الشاعر بالذات الإلهية ليخلِّصه من الحالة المتردية التي يتقلب فيها.

إن الشعر العربي لم يحفل بشخصية من الشخصيات كما حفل بسيدنا محمد -ﷺ- يقول المقرئ:" الأمداح النبوية بحر لا ساحل له وفيها النظم والنثر زاده الله شرفا وحباه أفضل الصلاة وأزكئ السلام"[2] ، ويعد المديح النبوي لونا من التعبير الأدبي، يعبر عن العواطف الدينية ومحور من الأدب الرفيع؛ لأنه صدر عن قلب مفعم بالإيمان، مخلص لسيد الأنام ﷺ.

كما يعد المديح النبوي من أهم موضوعات الشعر العربي، وقد نظم الشعراء فيها قصائد لا تعد ولا تحصئ؛ حيث عبر الشعراء -منذ بزوغ الإسلام حتئ الآن- عن عواطفهم الجياشة تجاه الرسول الكريم، وكان من أسباب ازدها المديح النبوي في العصر الأندلسي عموما، وفي عصر الموحدين علئ وجه الخصوص عدة أسباب منها:

١. إيمان الشاعر وإخلاصه للرسول -ﷺ.

---

(١) المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، د/ فاطمة عمراني، صـ٧٨، نشر المجمع العلمي لأهل البيت چ، الطبعة الأولئ، سنة ١٤٢٨ه.

(٢) نفح الطيب ج١٠/ ٣٥٩

٢. إثبات ذاتهم والتغني بنبيهم، في الوقت الذي احتفل فيه نصارىٰ الأسبان بمولد السيد المسيح.

٣. ظهر الكثير من الوعاظ والزهاد والمتصوفون في العصر الذي ظهر فيه الأوبئة والجوائح، فكان الشاعر يدعو إلىٰ الرجوع واللجوء إلىٰ الله تعالىٰ.

٤. محاولة التضرع إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، ونيل شفاعة الحبيب المصطفىٰ – صلىٰ الله عليه وسلم.

٥. دعوة الدولة الموحدية للأدباء لإظهار مكارم السيرة النبوية.

٦. سقوط بعض الدول الأندلسية في أيدي العدو الإسباني، فكان الملاذ الآمن هو الرجوع إلىٰ الله ومدح سيد الرسل -ﷺ- وطلب الشفاعة منه.

هذه أهم البواعث العامة لنضج شعر المديح النبوي في بلاد الأندلس، في عصر الموحدين وكيف لا"يتغنىٰ شعراء الأندلس بالمدائح النبوية، ومثلهم في ذلك مثل الشعراء في جميع البلدان الإسلامية، إذ هو المثل الكامل لكل مسلم...واتسع هذا اللون من المدح منذ القرن السادس الهجري، حتىٰ أصبح المديح النبوي غرضًا كبيرا من أغراض الشعر الأندلسي"[١]

[١] تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس) د/ شوقي ضيف، ص ٣٧٠، طبعة دار المعارف – القاهرة.

المبحث الأول

موضوعات المديح النبوي عند ابن الجنّان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طلب الشفاعة والحنين إلى الأماكن المقدسة.

أولاً: طلب الشفاعة منه والتوسل إليه ﷺ.

ثانيا: الشوق والحنين إلى قبره وإلى الأماكن المقدسة .

المطلب الثاني: الثناء على الرسول وتعداد معجزاته ﷺ.

أولا: الثناء على الرسول وذكر صفاته ﷺ.

ثانيا: ذكر معجزاته ﷺ.

المطلب الأول: طلب الشفاعة والحنين إلى الأماكن المقدسة.

وقد نظم ابن الجنان في مدائحه النبوية عددا من الموضوعات تتمثل فيما يلي:

أولا: طلب الشفاعة منه ﷺ.

إن أهل السنة والجماعة قد أثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي -ﷺ- من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، ولا تنفع الشفاعة إلا بإذنه، قال تعالىٰ: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] فشفاعة نبينا محمد -ﷺ- هي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله ﷻ في كتابه، ووعده إياه وأمرنا رسول الله -ﷺ- أن نسأل الله أن يبعثه هذا المقام المحمود، قال تعالىٰ ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[2] ومن قصائدة التي يطلب فيها الشفاعة من الحبيب -ﷺ- قوله: (الخفيف)

بحبيبِ القلوبِ معتمدِ الخلق ... قِ أبي القاسم النبيِّ الشفيعِ
تشفَّعتُ من ذنوبي إلىٰ ذي الـ ... ـعزةِ الواحد العليِّ السميعِ
فأشفع اشفع يا خاتمَ الرسل يوم ال ... ـحشر والمشهدِ العظيمِ الفظيعِ
لظلومٍ لنفسهِ قد تناهَىٰ ... في الخطايا وكلِّ فعلٍ شنيع
فإذا ما تذكَّر الذنب فاضت ... مقلتاه واغرورقت بالدموع[3]

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٩

(٣) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١١٨

فالشاعر يطلب من النبي الشفاعة يوم الحساب، فما له من وسيلة غير ذلك للنجاة والفوز، مقدما صلاته وسلامه علىٰ الحبيب المصطفىٰ ليس ذلك وفقط،وفي ذلك يقول: (الكامل)

فله لواءُ الحمدُ غير مدافعٍ ... وله الشفاعةُ إذ يكون كليما
نرجوه في يومِ الحسابِ وإنّما ... نرجو لموقفه العظيمِ عظيمَا
ما إن لنا إلا وسيلةُ حبه ... وتحيةٌ تذكو شذاً وشميمَا
ولخير ما أهدى امرؤٌ لنبيه ... أرجُ الصلاة مع السلام جسيمَا
يا أيها الراجونَ منه شفاعةً ... صلوا عليه وسلموا تسليمَا (١)

فالشاعر يرجو الله تعالىٰ أن ينال الشفاعة يوم الحساب، فما لنا وسيلة للنجاة سوىٰ حبه ﷺ. وفي قصيدة أخرىٰ يطلب الشاعر الشفاعةَ من خير الأنام، وخير مبعوث أتىٰ بالنور، فالشيء العظيم لا يطلب إلا من العظماء، وفي ذلك يقول: (الكامل)

خيرُ الأنامِ وخير مبعوثٍ أتى ... بالنورِ يصدعُ غيهبَ الظلماءِ
ختَّام ديوان الرسالةِ والهدى ... فتَّاح باب شفاعةِ الشفعاءِ
ويشاهدُ الأشهادُ عزَّ مقامه ... وسموه في رتبةِ العلياءِ
فجميعهم يرجو النبيَّ وإنما ... يرجى العظيمُ لأعظمِ الأشياءِ
صلى عليه الله ما أسماه في ... شرفٍ وما أولاه بالأسماءِ (٢)

(١) السابق ، صـ ١٤٩

(٢) السابق ، صـ ٧٢

وينهي قصيدته بالصلاة والسلام علىٰ الحبيب -ﷺ- وفي قصيدة أخرىٰ ينعته الشاعر بصاحب الشفاعة ﷺ، حيث يقول: (المجتث)

يا رب بلغْ سلامي لأحمدٍ ذي الشفاعهْ
لخاتم الرسل أعني إمامَ تلك الجماعـــهْ
لأبهرِ الخلق مجداً لمن يحكي الصباحَ نصاعهْ تعجيزُ
صفاتُ علاه أهل البراعةْ[1]

وفي قصيدة أخرىٰ يطلب فيها الشفاعة من الحبيب ﷺ ما نلحظها في تخميسة له يقول فيها: (الكامل)

ذاك الشفيعُ مقامهُ محمودُ
ولواؤه بيدِ العلا معقودُ
فإذا توافتْ للحساب وفودُ
قالوا تقدّم بالأنامِ زَعيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً [2]

فهو صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، متقدم علىٰ كل الوفود ليشفع لأمته يوم الحساب، وفي قصيدة أخرىٰ يتوسل ابن الجنَّان بالنبي المختار الذي اجتباه الله وفضله علىٰ سائر الأمم، أن يشْفع له بعدما عظمت سيئاته وكثرت، ويصلي عليه صلاةً وسلامًا كلما طلعت شمس وما كتب في الأوراق بالقلم، فهو المختار والشفيع، الذي يتوسل به للنجاة من النار، وفي ذلك يقول : (البسيط)

(١) السابق ، صـ ١١٦

(٢) السابق ، صـ ١٥٤

إني تَوسّلتُ بالمختارِ ملجئنا الطاهرِ المجتبى من خيرةِ الأممِ
إليكَ من سيئاتي إنّها عظُمتْ يا واحداً لم يزل فرداً ولم يقمِ
عليه منه صلاةٌ كلّما طلعتْ شمسٌ وما خُطّ في الأوراقِ بالقلمِ
فهو الشفيعُ الذي أرجو النَّجاةَ به من الجحيمِ إذْ الكُفّارِ كالحَمَمِ [1]

وينهي قصيدته بالصلاة علىٰ النبي كلما طلعت وأشرقت الشمس. ويناجي الله في قصيدة أخرىٰ مصليا علىٰ خير الخلق محمد خاتم الرسل، عليه الصلاة وأتم التسليم، فيقول: (البسيط)

يا ربِّ إنّ شفيعي من ذُنوبي في يومِ القيامةِ خيرُ الخَلقِ والنّسمِ
محمدٌ خاتَمُ الرُّسلِ المبلِّغ للـ ـدينِ الحَنيفيّ والإسلامِ للأممِ
عليه مني صلاةٌ كلّما سجع الـ ـحمامُ فوقَ غصونِ البانِ والسّلمِ
وبعدَ ذلك أعدادُ الجبالِ ورمـ ـلِ الأرضِ والطّيرِ والحيتانِ والنعم[2]

ويتخلل هذا الشعر الديني نزعة صوفية وهو ينادي المولىٰ جل وعلا، ولا غرو في ذلك فقد بلغ التصوف أوجه في عصر الموحدين، وقد بدا ذلك جليا علىٰ يد ابن عربي(ت٦٣٨ه) إمام الصوفية في "العصر الموحدي، إذ يعد بحق عصر بزوغ الشعر الصوفي ونضوجه وازدهاره في الأندلس"[3]

و يرجو الشاعر الشفاعة من الحبيب، فهو المختار الذي نرجوا منه الشفاعة يوم الحساب، فيقول: (الطويل)

---

(١) السابق ، صـ١٥٦

(٢) السابق ، صـ١٥٦

(٣) الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، د/ محمد مجيد السعيد ، ص٢٦٩ـ دار الرشيد-بغداد سنة ١٩٨٠م.

أيذهبُ يوم لم أكفــر ذنــوبه بذكر شفيع في الذنوب مشفعِ
ولم أقضِ في حق الصلاة فريضة على ذي مقام في الحساب مرفَّعِ
أرجّي لديه النفع في صدق حبِّه ومن يرتج المختار لا شك ينفعِ
وأهدى إلى مثــواه مني تحية إذا قصدتْ باب الرضى لم تدفعِ [1]

وفي قصيدة أخرىٰ يطلب فيها الشفاعة من الحبيب -ﷺ- وكيف لا ومكانته عالية ومقامه محمود، والمقام المحمود هو الشفاعة، كما قال النبي صلىٰ الله عليه سلم.[2]

ولي رغبةٌ شفعت فيها محمداً نبي الهدى السامي بأفق العلامجداً
فشفعه يا مولاي واخصص جنابه بأذكى سلامٍ ينضخُ المسكَ والنَّدا
وخر لي واختر لي فحسبي ماترى من الأمرِ لي خيراً وتختاره رشدا [3]

والذي يتضح من الأمثلة السابقة أن شعر المديح عند ابن الجنَّان الأنصاري، ليست ناتجا عن موقف آني لشاعر متدين، ثمثَّل في قصيدة واحدة؛ وإنما جل قصائده مثَّلت نمطا ثابتا أظهر مدىٰ إيمانه وحبه لقدسية النبي -ﷺ- فالشاعر يلجأ إلىٰ الرسول -ﷺ- يسأله الشفاعة والعفو من العقاب الأخروي في أكثر من قصيدة ولا نبالغ إذ قلنا أن جانب الشفاعة نال المرتبة الأولىٰ عنده من حيث الكم والكيف.

---

(١) السابق ، صـ ١١٧

(٢) مسند الإمام أحمد ابن حنبل أبو عبد الله أحمد ابن حنبل ت ٢٤١ه، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولىٰ مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠١م، الحديث رقم ١٠٢٠٠، ١٦/ ١٥٤.

(٣) ديوان ابن الجنَّان ، صـ ٨٠

ثانيا: الشوق والحنين إلى قبره وإلى الأماكن المقدسة.

إذا كان جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تنبض قلوبهم بحب البقاع المقدسة، فيتشوقون إليها وتهفو نفوسهم إلىٰ زيارة قبر النبي -ﷺ- وأداء فريضة الحج أو العمرة أو هما معا، وعلىٰ ذلك فإن شعراء الأندلس بحسب موقعهم الجغرافي يجعل شوقهم وحنينهم إلىٰ تلك البقاع أكثر تميزا وأكثر حرارة من أشواق الآخرين؛ فأهل الأندلس يشعرون بأنهم أبعد من غيرهم عن مركز العالم الإسلامي وقبر النبي بوجه الخصوص، وفي ذلك يسلم ابن الجنان الأندلسي علىٰ قبر النبي -ﷺ، فيقول: (الطويل)

سلامٌ على قبرٍ يرد سلامنا ... به جسدٌ قد أُلبسَ النورَ مجسدا
سلامٌ عليه والملائكُ حولَه ... تحفُّ لتسليمٍ عليه تحفُّدا
سلامٌ عليه والإلهُ مراجعٌ ... عن المصطفى يا صَفقةً لن تكَّسدا
سلامٌ عليه كم ثوى من كرامـــة ... بملحَده الأسنى فقُدِّس ملحَدا (1)

ويمتد الشاعر بالأبيات ويستمر بالتسليم عليه ﷺ، ويتحدث عن اشتياقه لزيارة قبر النبي -ﷺ- فكلما ذُكر اسمه جدد غرامه واشتياقه له، حيث يقول: (الطويل)

سـلامٌ عليـه إن ذكـراهُ جَـدَّدت ... غرامـــي ومـــا زالَ الغـــرامُ المجـــدَّدَا
سـلامٌ عليـه إن نفسـي مشـوقةٌ ... إليـــه فهـــل يـــدني اشـــتياقيَ أبعـــدَا
سـلامٌ عليـه هـل تتـاحُ زيـــارة ... تـــوفِّي الوفـــاء الحـــق عهـــداً ومعهـــدَا

(1) السابق، صـ ٩٥

سلامٌ عليه من لعيني برسمــه فيسفحُ ما يروي الصفيحُ المنضّدَا[1]

ويمتد الشاعر بالأبيات الدالة علىٰ الشوق والحنين للأماكن المقدسة، فيقول: (الطويل)

سـلامٌ عليـه مـن لـوجهي بتربـه فأوطئـه خـداً بـدَمعي مُخَـدَّدَا مصـلىً

سـلامٌ عليـه كيـف لي بجـوارِه لـدى المحيـا وفي المـوت غرقـدَا

سـلام عليـه من مرجٍ لفضلـه غـدا راجياً منه شفاعَته غـدَا [2]

ويمـزج ابـن الجنـان في مديحـه للنبـي (صـلىٰ الله عليـه وآلـه) بـين الـدعاء إلـىٰ الله والتضـرُّع لـه والتوجّـه إلـىٰ الرسـول بطلـب الشـفاعة وبـذلك فقـد اتخـذ ابن الجنانُ النبي -ﷺ- الملاذ والوسيلة لشفاعته .

**** **** ****

(١) السابق ، صـ ٩٥

(٢) السابق ، صـ ٩٥

المطلب الثاني: الثناء على الرسول وتعداد معجزاته ﷺ.

أولا: الثناء على الرسول وذكر صفاته ﷺ.

نظم شعراء المسلمين القصائد والمقطوعات المليئة بالثناء علىٰ النبي -ﷺ- وذكر صفاته السامية ومحاسنه القيمة، والسير علىٰ هديه ﷺ. وقد استهل ابن الجنان في قصيدة له جاعلا في شطره الأول (صلوا علىٰ) وتناول تعداد خصاله السامية وصفاته الرفيعة، والشطر الثاني يقوم علىٰ أساس تفرّده بالمعجزات الخارقة، يقول فيها: (الكامل)

صلوا على خيرِ البريةِ خيما ... وأجلّ من حازَ الفخارَ صميمَا
صلوا على من شرّفت بوجوده ... أرجاء مكة زمزماً وحطيمَا
صلوا على أعلى قريشٍ منزلا ... بذراه خيّمت العلا تخييمَا
صلوا على نورٍ تجلى صُبحه ... فجَلا ظلاماً للضلال بهيمَا
صلوا على هادٍ أرانا هديه ... نهجاً من الدينِ الحنيف قويمَا
صلوا على هذا النبي فإنّه ... من لم يزل بالمؤمنينَ رحيمَا (1)

فهو خير البرية تشرفت بوجوده أرجاء مكة، وكيف لا وهو أعلىٰ قريش منزلا، فهو نور كشف الظلام والضلال البهيم، وهادٍ بدا ذلك في نشره للدين الحنيف، لا زال رؤوف بالمؤمنين رحيما، ومن الثناء عليه وتعداد صفاته وشيمه العظيمة قوله: (الكامل)

صلوا على الزّاكي الكريمِ محمدٍ ... ما مثله في المرسلينَ كريماً

(1) السابق صـ ١٤٨

ذاك الذي حاز المكارمَ فأغتدت قد نظِّمت في سلكهِ تنظيماً
من كان أشجعَ من أسامة في الوغى ولدى النديّ يحكي الحيا تجسيماً
طلق المحيّا ذو حياءٍ زانه وسط النديّ وزاده تعظيماً
حكمت له بالفضلِ كل حكيمةٍ في الوحي جاء بها الكتابُ حكيماً[1]

ومن صفاته الفريدة وشيمه العديدة، أنه نبي مبارك رؤوف رحيم، أعلىٰ من الشمس منزلا وأمضىٰ من السيف منتضىٰ، حيث يقول: (الطويل)

جزاه إلهُ العرش خير جزائِه وأكرَمنا بالعفو منه وبالرضَا
وصلى عليه من نبيٍّ مبارك رؤوف رحيم للرسالة مُرتضى
له عزةٌ أعلى من الشمس منزلاً وعزمتُه أمضى من السيف منتضى
له الذكر يهمى فض مسك ختامِه تأرَّج من ريَّا فضائله الفضا
عليه سلام الله ما انهل ساكب وذهب موشيي الرياض وفضضا[2]

ومن صفاته الحسنة وشيمه العظيمة: أنه نور الهدىٰ خير هاد بحلمه وخير داع ، مستخدما صيغة أفعل التفضيل لإظهار فضائله ودرجاته العلا، يقول: (المجتث)

صلى على من تبدى نور الهدى من سماتِه
ومن علا الفخر لما نمى إلى معلواتِه
محمدٍ خيرَ هادِ بحلمه وأناتِه
محمد خير مبدٍ لنا سنا معجزاتِه همت
أكرم به من نبيٍّ سما مكرماتِه سمت عُلا
أعززْ به من رسولٍ درجاتِه بالفضل من

(١) السابق ، صـ ١٤٨

(٢) السابق ، صـ ١١٥

وخصه الله منه تكرماتِـــه صلاتــه في
لما حبـــاه بــأوفى صلاتــِه[1]

نبي ذو فضل وحلم ومكرمات وآيات معجزات صلىٰ عليه الله في الصلوات، فكيف لا يثني عليه ابن الجنَّان، ويعدد صفاته الحسنة وأخلاقة العظيمة، وأدبه وشمائله الفريدة، فقد أدبه فأحسن تأديبه وجعله علىٰ خلق عظيم وأثنىٰ عليه بذلك الخلق فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[2] وهذا أبلغ في الثناء، وليس بعد ذلك ثناء، فإن حسن الخلق أعظم ما يتحلىٰ به الإنسان، فكان الرسول هو المثل الأعلىٰ وقدوة الخلق في محاسن الأخلاق.

**** **** ****

(١) ديوان ابن الجنان، صـ ٧٤

(٢) سورة القلم: آية ٤

ثانيا: ذكر معجزاته ﷺ.

أيد الله جميع الأنبياء بمعجزات منها ما ذكر في القرآن أو في السنة، ومنها ما لم يذكر، وأما معجزاته ﷺ فهي كثيرة، ولابن الجنّان الأنصاري تخميسة أشبه بالموشحات الأندلسية عدَّد فيه معجزات النبي -ﷺ- وبلغت شهرتها الآفاق حتىٰ تغنىٰ بها المبتهلون ورددها السامعون، يقول في مطلعها:[1] (الكامل)

الله زاد محمـــدًا تكـــريمًا

وحباه فضلا من لدنه عظيمًا

واختصه في المرسلين كريمًا

ذا رأفة بالمؤمنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا

وأخذ يعدد صفاته الحسنة ومعجزاته الفريدة التي يراها الأعمىٰ والبصير، وتشفي أسقام القلوب والصدور، وكيف لا وهي مؤيدة من قبل الله القهار، فيقول:

إنَّ الرسولَ المعتلي المقدارِ

لمؤيـــدٍ من ربّـه القهـــارِ

بالمعجزات جلَتْ عمى الأبصارِ

وشفتْ من أدواءِ الضلال سقيما صلوا عليهِ وسلموا تسليمًا

كم شاهد لمحمدٍ بنبوتهِ

في أيْد تأييدِ الإله وقوّتهِ

فبذاك أعلى الله دعوةَ حجّتهِ

فمضتْ حساماً صارماً وعزيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا[2]

---

(١) السابق ، صـ ١٤٩

(٢) السابق ، صـ ١٥٢

وليس بغريب علىٰ ابن الجنَّان أن يعدد هذه المعجزات، إلا وكونه مطَّلع علىٰ كتب السيرة النبوية وملم بكل صغيرة وكبيرة تختص بحياته ومعجزاته، ومن أجلِّ تلك المعجزات وأشهرها القرآن الكريم، وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام والماء القليل، وحنين الجذع وانقياد الشجر وتسبيح الحصىٰ بكفه وتسليم الحجر عليه... وغيرها. ويمتد الشاعر بالأبيات، ليعدد بقية المعجزات، فيقول: (الكامل)

البدر شقّ له ليظهرَ صدقــه
والشّمس قد وقفتْ تعظّم حقه
والمــزنَ أرسل إذ توسّل ودقَه
فاخضرّ ما قد كان قبل هشيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا (1)

فانشق القمر للحبيب ووقفت له الشمس، والمطر أنزله الله بدعائه، ويسامر الشاعر في تعداد معجزاته، كجريان الماء العذب من بين أصابعه، فبركاته تربو علىٰ التعداد، وأطعم منها الحاضر والبادي، وفي ذلك يقول:

والماءُ بين بنانه قد ســالا
عذباً معيناً سائغاً سلسالا
كنَداه يمنحُ رفده من سالا
وينيلُ راجيه النّوال جسيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا
بركاته أربتْ على التعـــــداد
كم أطعمت من حاضر أو بادي

(1) السابق ، صـ ١٤٩

من قصعـــــةٍ أو حثيةٍ من زاد

رزقاً كريماً للجيوش عميما صلوا عليه وسلموا تسليمًا[1]

ثم ينتقل الشاعر لبقية معجزاته ﷺ، كسجود البعير وشكايته له ، وتكلم الشاة المسمومة، ويختم مخمسته كالعادة بالصلاة والسلام علىٰ خير الأنام، فيقول:

سجد البعيرُ له سجود تذلل

وشكا إليه بحرقةٍ وتملــمل

والشاة قال ذراعها لا تأكلِ

مني فإني قد ملئت سموما صلوا عليه وسلموا تسليما

والغصن جاء إليه يمشي مُسرعاً

والصخرُ أفصحَ بالتحية مسمعاً

والظبيـــة العجماءُ فيها شفّـعاً

والضبُّ كلّم أحمداً تكليماً صلّوا عليه وسلموا تسليماً [2]

كل هذا العرض البديع يدل علىٰ مطالعة ابن الجنّان الواسعة للقرآن الكريم والسنّة الشريفة، وبالشكل الذي مكنه من إعداد ما يشبه عرضاً شعرياً لأجزاء من التاريخ النبوي ومعجزاته الفريدة، ثم يذكر معجزة أخرىٰ من معجزاته، وهي حنين الجذع له ﷺ. يقول:

والجذعُ حنّ له حنين الوالهِ

يبدي الذي يخفيه من بلبالهِ

أفـــلا يَحنّ متيّمٌ بجمـــالهِ

---

(١) السابق صـ ١٥٢

(٢) السابق صـ ١٥٣

يشتاق وجهاً للنبي وسيما صلوا عليه وسلموا تسليماً

ما بالنــا نّسلو وحبُّ حبيبــنا

يقضي ببثِ غرامــنا ونحيبــنا

لو صحَّ في الإخلاص عَقدُ قلوبنا

لم ننس عهداً للرسولِ كريماً صلّوا عليه وسلموا تسليما [1]

لما ترك النبي الجذع حنَّ إليه واشتاق لوجهه الوسيم، فما بالنا لا نشتاق إليه، وفي قصيدة أخرىٰ يسلم علىٰ من أيده الله بالمعجزات، فيقول: (الطويل)

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مــؤيدا

ســـــلام على خير البريةِ شيمـــة وأكـــرمها نفساً وبيتاً ومحتـــدا

سلام على المختارِ من آل هاشمٍ إذا انتخبوا للفخر أحمدَ أمجدا [2]

ومن معجزاته ﷺ تأييدا لدعوته وإكراما له ، وإعلاء لقدره، انشقاق القمر، ووقوف الشمس له إجلالا وتعظيما، وإنطاق الجماد وحنين الجزع له، كل ذلك يؤكد علىٰ صدق نبوته ﷺ ، فيقول ابن الجنّان : (الكامل)

حكمت له بالفضل كل حكيمــةٍ في الوحي جاء بها الكتاب حكيمَا

وبدتْ شواهد صدقه قد قسّمت بَدرَ الدجى لقسيمهِ تقسيمَا

والشمسُ قد وقفت له لمــا رأت وجهاً وسيماً للنبيّ وسيمَا

كم آيةٍ نطقتْ تصدّق أحمـــدا حتى الجمادُ أجابه تكليمَا

(1) السابق صـ ١٥٣

(2) السابق ، ص ٨٠.

والجذع حنّ حنين صبٍ مغـرم أضحى للوعات الفراق غريمَا

جلت مناقب خاتم الرسل الذي بالنـور خُتّم والهدى تختيمَا (١)

وقد ذكر عددا من معجزاته -ﷺ- في داليته المشهورة التي تقع في مئة وأربعين بيتا، والتي تعرف بـ (القصيدة المباركة الشريفة) وقد دارت علىٰ ثلاثة محاور هي تعداد معجزاته (صلىٰ الله عليه وآله) والأمور الخارقة التي أجراها الله علىٰ يديه لإثبات صحة نبوته، ثم يتحدث الشاعر عن شمائله وكريم صفاته وخصاله، والقصيدة فريدة من نوعها يبدأ الشاعر كل بيت منها بكلمة (سلام علىٰ) فيقول فيها: (الطويل)

سلام على من لاح برهان بعثه فأتمّ في أقصى البلاد وأنجَدا

سلام على من رُجّ عند أوانه لكسرى من الإيوان ما كان شيّدَا

سلام على من أُخمدت نار فارس بنورٍ له نارَ الضلالةِ أخمدَا

سلام على بدرِ النبوة ذي السنا فما كان أسنى في البدور وأسعدَا

سلام على شمس الرّسالة أحمدٍ فأيّ معال لم تُكنّ لأحمدَا

سلامٌ على من أقسمَ الله باسمه على شرف العهد الذي كان قُلدَا(٢)

فنراه يسلم عليه في كل أبياتها ويذكر إرهاصات بعثته، وكيف تصدَّع إيوان كسرىٰ، لولادته وكيف أخمدت نيران فارس بمجيئه ﷺ، واصفه ببدر النبوة وشمس الرسالة إلىٰ غير ذلك. ومن معجزاته ﷺ، حديثه للحيوان والرد عليه، كالظبية التي اشتكت حالها للنبي والضب الذي سأله من أنا والذئب الذي نطق

(١) السابق ، صـ١٤٨-١٤٩

(٢) السابق ، صـ٨٣

له، ونطق الصخور وتسبيح الحصىٰ، كل ذلك معجزات مؤيدة من قبل المولىٰ جل وعلا ووعاها ابن الجنان الأنصاري، واطلع علىٰ سيرته العطرة فنظمها نظما رائعا في قوله: (الطويل)

سلامٌ على من أسمعتْ ظبية الفلا ... نداءً أنِ اشفع لي لدى من تصيّدا
سلامٌ على من قال للضب من أنا ... فقال له أنت الرَّسول ووحدا
سلامٌ على من أفصح الذئبُ ناطقاً ... بتصديقهِ فأعجب لذلك وأشهَدا
سلامٌ على من أكبرَ الليث أمره ... فذلَّ لمولاه ودل وأرشدا
سلامٌ على من سلَّمت قبل بعثه ... عليه الصخورُ الصم إذ راح واغتدى
سلامٌ على من سبَّحتْ وسط كفه ... حصى أفصحت بالذكرمثنى وموحدا[1]

وهكذا أبدع ابن الجنان الأنصاري في رسم ما يكنه قلبه من حب وتعظيم للنبي- ﷺ- من ذكر معجزاته وتعدادًا لصفاته، وبيان فضله وعظيم قدره عند الله في صورة فنية رائعة أقرب منها للتقريرية المباشرة، وهذا يدل علىٰ شاعرية ابن الجنَّان ومدىٰ تمكنه من لغته.

ويتطرق الشاعر لمعجزة كبرىٰ من معجزاته ﷺ ألا وهي معجزة الإسراء والمعراج، ذاكرا حديث جبريل له وذهابه لبيت المقدس، وصعود البراق فوق السماوات العلا، فيقول: (الطويل)

(١) السابق ، صـ ٨٧

سلامٌ على من ساق جبريل نحو الـ ... براق وقال اركبْ كرمت موفّداً
سلامٌ على من خصَّه الله بالعلا ... وأسمى له فوق السموات مُصعداً
سلامٌ على من سار في الليل سيداً ... فزار من البيت المقدس مسجداً
سلامٌ على من رحبت بقدومه ... ملائكة قالت له اصعد لتسعدا
سلامٌ على من حَلَّ بالسدرة التي ... هي المنتهى فاختل للصدق مقعدا[1]

ويذكر معجزة خروجه من مكة إلىٰ المدينة، واختفائه في غار ثور مع أبي بكر الصديق وفي ذلك يقول: (الطويل)

سلامٌ على من أعشيت أعين العدى ... وقد بيتُوه قصد الفتكِ رصّدا
سلامٌ على ملقي التراب عليهم ... ومبقٍ عليا في الفراش موسَّدا
سلامٌ على من كان في الغار آية ... لتحصينه صيغّتْ دلاصا مسرَّدا[2]
سلامٌ على التالي لصاحبه به ... وقد قيل: (لا تحزن) فصِين وأيَّدا [3]

فقد ألقىٰ عليهم التراب قائلا قول الله تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾[4] ، وهنا تتجلىٰ قدرة الله تعالىٰ في عدم رؤيته وهو خارج من بيته إلىٰ المدينة، ليصل إلىٰ الغار، لتظهر المعجزة الأخرىٰ في عدم رؤيته هو وصاحبه أبو بكر الصديق قائلا له لاتحزن إن الله معنا. ثم ينتقل

(١) السابق ، صـ ٨٧

(٢) الدلاص: كالدليص: الدرع اللينة الملساء.

(٣) السابق ، صـ ٩١

(٤) سورة يس آية ٩

إلىٰ معجزة أخرىٰ وهي القرآن الكريم وبلاغته واللغة التي تحدَّىٰ الله بها العرب، فيقول في ذلك:

ما زال برهانُ النبي يلوحُ
يغدو به الإعجازُ ثم يروحُ
حتى أتاهُ بعد ذاك الروحُ
يوحي له وحيَ الإله حكيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا
شهدتْ له بمزية التفضيلِ
سورٌ وآياتٌ من التنزيلِ
وصلاةُ خالقه أدل دليلِ
فافهمه واسمعْ قوله تعظيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا

وبذلك نزل القرآن علىٰ سيدنا محمد بواسطة الوحي جبريل عليه السلام، متحديا به العرب وقد شهدت آياته وسوره علىٰ تفضيله وتكريمه ﷺ ولا أدل علىٰ ذلك من صلاة الله عليه كما في قوله تعالىٰ: (إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [1] فما لنا لا نصلي عليه ﷺ.

**** **** ****

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦

المبحث الثاني

التشكيل الفني في شعر المديح النبوي عند ابن الجنان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المعجم الشعري

المطلب الثاني: العاطفة.

المطلب الثالث: الصورة الفنية.

المطلب الرابع: الموسيقى الشعرية.

المطلب الأول: المعجم الشعري

اتخذ ابن الجنان عدة ألفاظ تعبر عما يدور بخاطره، وهذه الألفاظ والعبارات تعد معجمه الخاص إذ "يقصد بالمعجم الشعري، تلك الألفاظ التي لها أهميتها البالغة في بناء القصيدة، في وسيلة الشاعر لنقل تجربته إلىٰ المتلقين"[1] وقد اشترط النقاد والأدباء للألفاظ الفصيحة من الشروط ما يحافظ علىٰ سلامتها، بالبعد عن التعقيد والغرابة ، وخلوها من السوقي والعامي، كما ينبغي ألا يكون "وحشياً إلا أن يكون المتكلم أعرابياً ، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس"[2] كما ينبغي أن نعي جيداً، أن فصاحة اللفظة لا تظهر إلا مع جارتها ولا تنسجم إلا مع أختها ، وبذلك تظهر جودتها وحلاوتها في التركيب، حيث"إن الألفاظ المفردة لا يتصور أن يقع بينها تفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة، دون أن تدخل في تراكيب"[3] فهل كان لابن الجنان أسلوب خاص لإبداء عاطفته؟ وما التعابير التي استخدمت في مقام مدحه ﷺ، وهل كانت ألفاظه وحشية ؟ وهل استقاها من بيئته أو من الموروث القديم أو من القرآن والسنة.

والحق أن ابن الجنان قد تخير الألفاظ المناسبة لمقام مدح النبي -ﷺ- فاختار لغة واضحة سهلة تلامس حيواته اليومية، وتلامس حياة أكبر عدد من المتلقين،

---

(١) قضايا النقد الأدبي المعاصر، د/ محمد زكي عشماوي، صـ ٢٤١، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، سنة ١٩٧٥م.

(٢) البيان والتبين للجاحظ جـ١ ص١٤٤ تحقيق د/ عبد السلام هارون .

(٣) النقد الأدبي الحديث د/ غنيمي هلال ص٢٧١ .

فأسلوب المديح ينبغي أن يكون واضحا بعيدا عن الغرابة والوحشية، ولا سيما مديح النبي ﷺ، فنقف علىٰ ذلك في قوله:

يا رب بلـــــغْ ســـــلامي ... لأحمـــــــدٍ ذي الشـــــفاعةْ
لخـــاتم الرســـل أعـــني ... إمـــامَ تلـــك الجماعـــةْ
لأبهـــرِ الخلـــق مجـــداً ... يحكـــي الصـــباحَ نصـــاعةْ
لمـــن صفـــاتُ عـــلاه ... تعجـــيزُ أهـــل البراعـــةْ[1]

فأسلوب الدعاء يحتاج للسهولة والوضوح والبعد عن التعقيد، فالوضوح "شرط أساسي للكلام البليغ المؤثر، لأنه بوضوحه يستطيع أن يصل إلىٰ القلب في سرعة وسهوله"[2] ومن نماذج ابن الجنَّان المتسمة بالسهولة قوله:

جزاه إلهُ العرش خير جزائه ... وأكرَمنا بالعفو منه وبالرضا
وصلى عليه من نبيٍّ مبـــارك ... رؤوف رحيم للرسالـــة مُرتضى
له عزةٌ أعلى من الشمس منزلاً ... وعزمتُه أمضى من السيف منتضى
له الذكر يهمى فض مسك ختامِه ... تـــأرَّج من ريَّا فضائلـــه الفضا [3]

وبذلك بدت ألفاظه متسمة بالسهولة والوضوح والبعد عن الغريب والحوشي، فمقام المدح يقتضي ذلك ولا سيما المديح النبوي، الذي تبدو فيه عاطفة الحب والإعجاب بالنبي-ﷺ- بادية، لذا امتازت ألفاظه بالسهولة واليسر، ووضوح

---

(١) السابق ، صـ١١٦

(٢) أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، صـ ٤٧٢ ، طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦م.

(٣) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١١٤-١١٥

دلالتها علىٰ المعنىٰ المراد. كما اتسمت ألفاظه بالجزالة والدقة، ونلحظ جزالة ألفاظه في قوله:

خـير الأنام وخـير مبعـوثٍ أتـى بالنـور يصـدع غيهـبَ الظلمـاءِ
ختَّـام ديـوان الرسـالةِ والهـدى فتَّـاح باب شـفاعةِ الشـفعاءِ
ويشـاهد الأشـهادُ عـزَّ مقامـه وسُمـوه في رتبـة العليـاء
فجميعهم يرجـو النبي وإنمـا يرجى العظيمُ لأعظم الأشياء (١)

فالقصيدة هي فن استعمال الألفاظ، التي تخلق بنية حيّة، وانسجاماً فريداً من نوعه يحقق الاستجابة عند متلقيه، من خلال تلك الألفاظ أو اللغة الشعرية، التي تعكس شخصية الشاعر الثقافية، بكل ما تحمل من وعي وإدراك وإحساس بثقافة عصره وبيئته، وتتكرر الألفاظ المتسمة بالجزالة والرصانة مع سهولتها ووضوحها ، كما في قوله:

البدر شُقّ لـه ليظهرَ صدقه
والشّمس قد وقفتْ تعظّم حقه
والمزنَ أرسل إذ توسّل ودقَه
فاخضرّ ما قد كان قبل هشيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا (٢)

أما الأساليب فقد نوع الشاعر فيها بين الخبر والإنشاء، وقد لعبت الأساليب الإنشائية دورا في إثارة ذهن المتلقي، فيشارك الشاعر في أفكاره ومشاعره، وقد ورد الأمر، والاستفهام، والنداء، والدعاء عند ابن الجنّان فنجد حضورا للأمر كما في قوله:

(١) السابق ، صـ ٧٢
(٢) السابق ، صـ ١٤٩

صلوا على هادٍ أرانا هديه نُهجاً من الدين الحنيف قويما
صلوا على هذا النبي فإنه من لم يزل بالمؤمنين رحيما [1]

والأمر بالصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد ﷺ ، أسلوب لاحصر له في أشعاره فهو الأسلوب الغالب علىٰ قصائدة الدينية. ومن الدعاء قوله:

يا رب بلـــغْ ســـلامي لأحمـــدٍ ذي الشـــفاعهْ
لخـــاتم الرســـل أعـــني إمـــامَ تلـــك الجماعـــهْ
لأبهـــرِ الخلـــق مجـــداً يحكـــي الصـــباحَ نصـــاعهْ
لمـــن صـــفاتُ عـــلاه تعجيـــزُ أهـــل البراعـــةْ[2]

ويتكرر الدعاء في أكثر من قصيدة ، فنطالعه في قوله:

يا ربِّ إنّ شـفيعي مـن ذُنـوبي في يـومِ القيامـةِ خـيرُ الخَلـقِ والنّسـمِ
عليه مني صـلاةٌ كلّما سجع الـ حمامُ فوقَ غصونِ البانِ والسّلـمِ[3]

ونطالع النداء في قوله:

يا أيها الراجونَ منه شفاعـةً صلوا عليه وسلموا تسليمـا [4]

يلعـب الاسـتفهام دورا كبيـرا في مـدائح الشـاعر، وتتنـوع أدواتـه حيـث جاء بهل، وبمتىٰ، وبأين، وبمن، وبكم. ومن هذا القبيل قوله:

كم آيةٍ نطقتْ تصدّق أحمـدا حتى الجـمادُ أجابه تكليـما [5]

ومن الاستفهام بمن نطالعه في قوله:

---

(١) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٨

(٢)ديوان ابن الجنَّان ، صـ١١٦

(٣)ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٥٦

(٤)ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٩

(٥) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٩

من كان أشجعَ من أسامة في الوغى ولدى الندىِّ يحكي الحيا تجسيماً[1]

ومن الاستفهام بهل نلحظه في قوله:

سلامٌ عليه إن نفسي مشوقةٌ إليه فهل يدني اشتياقيَ أبعدا

سلامٌ عليه هل تتاحُ زيـــارة توفِّي الوفاء الحق عهداً ومعهـدا[2]

كل هذه الأدوات الاستفهامية أحدثت نوعا من المرونة والحيوية، ولفت انتباة المتلقي بهذا الأسلوب.

كما نلمح في مدائحه خاصية اتسم بها معجمه، وهي تكرار بعض الألفاظ والعبارات لإحداث تأثير في المتلقي، صانعا نغمة موسيقية قوية، وإيقاعا عذبا داخليا يعمل علىٰ إظهار قيمه الفكرية والنفسية علىٰ حد سواء، وسوف يتضح ذلك في الموسيقىٰ الداخلية إن شاء الله تعالىٰ.

**** **** ***

(١) ديوان ابن الجنَّان، صـ١٤٨

(٢) ديوان ابن الجنَّان، صـ٩٥

المطلب الثاني: العاطفة

العاطفة هي "الحالة الوجدانية أو النفسية التي تسيطر علىٰ الأديب إزاء موضوع أو فكرة أو مشاهدة، وتؤثر فيه تأثيراً قويـًا، يدفعه إلىٰ التعبير عن مشاعره، والإعراب عما يجول بخاطره"[1] أو هي "تلك القوَّة التي يُثيرها الأديب فينا نحن القرَّاء، وهي بعيدة عن العواطف الشخصية، وهي العواطف التي تَحْملنا علىٰ الدأب وراء صالحنا الخاصِّ، كالجشع، أو الفرار من الميدان، أو الانتقام، أو المدْح رجاءَ النوال، فهذه ليست من الانفعالات الأدبية السامية، التي يحرص عليها النقد، لأنها تحيا في دائرة ضيِّقة،... "[2] وقد تواضع النقاد علىٰ عدة مقاييس، تقاس بها جودة العاطفة وحيويتها، وهذه المقاييس ليست فقط من حيث الصدق والكذب، بل تكلموا أيضا "عن قوة العاطفة وعمقها، وعن تنوع العواطف لدىٰ بعض الشعراء دون بعض، كما يبدو أنهم لا حظوا استمرار العاطفة علىٰ قوتها في القصيدة كلها أحيانـًا، وفتورها في بعض أجزائها أحيانـًا، وما قد يؤدي إليه ذلك، من اختلاف نسج القصيدة قوة وضعفـًا، وأسراً وتهافتـًا، باختلاف حال العاطفة."[3]

وكان الحب والإعجاب في الأغلب الأعمِّ هو ما اتَّسمت به عاطفة ابن الجنان، ومِن أصدقِ العواطف وأرقِّها، وأعظمها استثارة للمشاعر والأحاسيس عاطفة

---

(١) في النقد الأدبي الحديث د/ طه أبو كريشة ص ١٧٠ طبعة الجريسي سنـة ١٩٩٠ م .

(٢) أصول النقد الأدبي أ/ أحمد الشايب صـ ١٨١ ، مطبعة الاعتماد. مكتبة النهضة المصرية ط٣/ ١٣٦٥ ç = ١٩٤٦ م.

(٣) في النقد الأدبي د/ محمد طاهر درويش ص ٢٢١ ، بتصرف. طبعة دار المعارف .

حب الرسول -ﷺ- ويتجلىٰ نجاح العاطفة عند أي شاعر بعدة معايير ومقاييس يقاس بها.

وقد اتسمت عاطفة ابن الجنان بعدة سمات منها:

أ- القوة والحيوية:

وتتجلىٰ قوتها بأن "تحرك الأحاسيس، وتحيىٰ الشعور، وتغذي النفس، وتوحي بالمطلوب، ولا يراد بقوة العاطفة الثورة الجامحة، بل يراد بها القوة مع ضبط النفس"[1] فهي قوة صادرة عن قلب مرهف محب للنبي -ﷺ- ومن خلال هذا التعريف نلحظ قوتها عند ابن الجنّان في قوله: (الكامل)

فله لواءُ الحمدُ غير مدافعٍ ... وله الشفاعةُ إذ يكون كليماً
نرجوه في يومِ الحسابِ وإنّما ... نرجو لموقفه العظيمِ عظيماً
ما إن لنـا إلا وسيلـةُ حبـه ... وتحيةٌ تذكو شذاً وشميماً
ولخير ما أهدى امرؤٌ لنبيـه ... أرجُ الصلاة مع السلام جسيماً
يا أيها الراجونَ منه شفاعـةً ... صلوا عليه وسلموا تسليماً [2]

وهنا تبدو عاطفة الرجاء بادية، فالشاعر يرجو الله تعالىٰ أن ينال الشفاعة يوم الحساب، فما لنا وسيلة للنجاة سوىٰ حبه ﷺ، وبذلك حظي شعر المديح النبوي عند ابن الجنان بعاطفة قوية، توسّل من خلالها بالرسول الكريم -ﷺ-

---

(١)النقد الأدبي عند العرب أصوله قضاياه تاريخه، د/ حنفي محمد شرف ص٥٤ – مطبعة الرسالة سنة ١٩٧٠م .

(٢) ديوان ابن الجنان ، صـ١٤٩

وطلب شفاعته. ومن قوة العاطفة وحيويتها ما نلحظها عندما يتوسل الشاعر بالنبي المجتبىٰ، حين يقول: (البسيط)

إني تَوسّلتُ بالمختارِ ملجئنا الطاهرِ المجتبى من خيرةِ الأممِ
إليكَ من سيئاتي إنّها عظُمتْ يا واحداً لم يزل فرداً ولم يقمِ
عليه منه صلاةٌ كلّما طلعتْ شمسٌ وما خُطّ في الأوراقِ بالقلمِ
فهو الشفيعُ الذي أرجو النَّجاةَ به من الجحيمِ إذْ الكُفّارِ كالحمَمِ (١)

وينهي قصيدته بالصلاة علىٰ النبي كلما طلعت وأشرقت الشمس، وإذا ما نظرنا إلىٰ عاطفة ابن الجنّان نجدها، قد تحققت بهذا المفهوم، وذلك لأنها جاءت نابعة من أعماق الشاعر، محركة لأحاسيسه، ومعبرة عن مشاعر فياضة، وانفعالات صادقة، بدليل توسله وتضرعه للرسول الكريم بأن يشفع له يوم الدين.

ب- صدق العاطفة:

ويقصد بصدق العاطفة "أي أن تنبعث عن سبب صحيح، غير زائف ولا مصطنع، حتىٰ تكون عميقة تهب الأدب قيمة خالدة"(٢) ونستطيع أن ندرك صدق

يا ربِّ إنّ شفيعي من ذُنوبي في يومِ القيامةِ خيرُ الخَلقِ والنّسمِ
محمدٌ خاتَمُ الرُّسلِ المبلِّغ للـ دينِ الحَنيفيّ والإسلامِ للأممِ
عليه مني صلاةٌ كلّما سجع الـ حمامُ فوقَ غصونِ البانِ والسّلمِ
وبعدَ ذلك أعدادُ الجبالِ ورمـ لِ الأرضِ والطّيرِ والحيتانِ والنعم(٣)

---

(١) السابق ، صـ ١٥٦

(٢) أصول النقد الأدبي د/ أحمد الشايب ص ١٩٠ ،ط ١٠ سنة ١٩٩٤م طبعة جديدة منقحة .

(٣) ديوان ابن الجنان ، صـ ١٥٦

ومن العواطف الصادقة ما نلحظها في إخلاص الشاعر وحبه للرسول -صلىٰ الله عليه سلم- عندما يعدد صفاته الحسنة وأفعاله الكريمة، حين يقول: (الكامل)

صلوا على الزاكي الكريم محمدٍ ما مثله في المرسلينَ كريمَا
ذاك الذي حاز المكارمَ فأغتدت قد نظِّمت في سلكهِ تنظيمَا
من كان أشجعَ من أسامة في الوغى ولدى الندىِّ يحكي الحيا تجسيمَا
طلق المحيّـا ذو حياء زانه وسط الندىِّ وزاده تعظيمَا
حكمت له بالفضلِ كل حكيمةٍ في الوحي جاء بها الكتابُ حكيما[1]

كما نلحظ صدق عاطفة شاعرنا حينما يعدد معجزاته ﷺ، في قوله:

والجذعُ حنّ له حنين الوالهِ
يبدي الذي يخفيه من بلبالهِ
أفـــلا يَحنّ متيّمٌ بجمـــالهِ
يشتاق وجهاً للنبي وسيما صلوا عليه وسلموا تسليماً
ما بالنـــا نّسلو وحبُّ حبيبـــنا
يقضي ببثِ غرامـــنا ونحيبـــنا
لو صحَّ في الإخلاص عَقدُ قلوبنا
لم ننس عهداً للرسولِ كريماً صلّوا عليه وسلموا تسليما [2]

(١) السابق ، صـ١٤٨

(٢) السابق صـ ١٥٣

والحق فإن النزعة الدينية المسيطرة علىٰ مدائح ابن الجنَّان جعلت من شعره نموذجا للصدق الفني والواقعي، علىٰ حد سواء، فضلا عن قوتها وتدفقها طوال قصائدة مما جعلها أدعىٰ للقبول.

ت- الثبات :

وثبات العاطفة هو "بقاء العاطفة في نفس القارئ زمنـًا، فلا تزول منها سريعـًا، بل تظل عالقة بها مدة طويلة"[1] بحيث يبقىٰ أثرها في النفس، وذلك دليل علىٰ تعايش الشاعر واندماجه معها.

فالقارئ لشعر ابن الجنَّان يظل متفاعلاً معه، متأثراً به طوال القصيدة، لا يزول سريعـًا، بل يبقىٰ أثره في نفس القارئ فترة غير قليلة؛ لما فيه من عاطفةٍ دينية وروح إسلامية محبة للرسول الكريم، ومن ذلك ما نلحظه في قوله:

سلامٌ على هذا الكريمِ فمالنا يدٌ أن تُوازى من مكانَته يدا
سلامٌ على هذا الرَّحيم ورحمةٌ تحييه بالإحسانِ مغنًّى ومُنتَدى
سلامٌ على قبرٍ يرد سلامنا به جسدٌ قد أُلبسَ النورَ مجسدا
سلامٌ عليـــــــه والملائكُ حـــولَه تحفُّ لتسليـمٍ عليه تخفُّدا [2]

ومن ثبات العاطفة ما نلحظها في داليته، التي تبدوا فيها عاطفته الدينية المشبعة بالإيمان والحب لسيد الأنام، حين يقول: (الطويل)

فعاطفة الشاعر قوية من بداية القصيدة وحتىٰ نهايتها، لا يشوبها ضعف أو قصور أو فتور، وعلىٰ كلٍ فالمتأمل في مديح الشاعر يجده مشحونـًا مليئـًا

(١) في النقد الأدبي الحديث د/ طه أبو كريشة ص١٧١.

(٢) ديوان ابن الجنان، صـ ٥٤

سلامٌ على من أسمعتْ ظبية الفلا ... نداءً أنِ اشفع لي لدى من تصيّدا
سلامٌ على من قال للضب من أنا ... فقال له أنت الرَّسول ووحدا
سلامٌ على من أفصح الذئبُ ناطقاً ... بتصديقهِ فأعجب لذلك وأشهَدا
سلامٌ على من أكبرَ الليث أمره ... فذلَّ لمولاه ودل وأرشدا
سلامٌ على من سلَّمت قبل بعثه ... عليه الصخورُ الصم إذ راح واغتدى
لامٌ على من سبَّحتْ وسط كفه ... حصى أفصحت بالذكر مثنى وموحدا[1]

بالعواطف الدينية، والأحاسيس الداخلية، التي تنم عن إخلاص الشاعر لممدوحه -ﷺ- وبذلك فقد منح شعره الخلود والدوام.

(١) السابق ، صـ ٨٧

المطلب الثالث: الصورة الفنية.

يُعدّ مصطلح الصورة الفنية من الركائز الأساسيّة من بين المصطلحات التي تُبنىٰ عليها دراسة النصّ الشعريّ ، وتُعدّ الوسيلة المثلىٰ التي تقودنا إلىٰ استكشاف تجربة الشاعر، وإدراك أبعادها، وذلك عن طريق السموّ باللغة، وحشد طاقات الكلمات الموحية.

وهي في نظر الدكتور عبد القادر القط: "الشكل الفنّيّ الذي تتّخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاصّ ليعبّر عن جانب من جوانب التجربة الشعريّة الكاملة في القصيدة مستخدمًا طاقات اللغة وإمكانيّاتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والحقيقة، والمجاز، والترادف، والتّضاد، والمقابلة، والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنّيّ، والألفاظ والعبارات هما مادّة الشاعر الأولىٰ، التي يصوغ منها ذلك الشكل الفنّيّ، أو يرسم بها صوره الشعريّة" [1] وتختلف مفاهيم الصورة الفنية وتتعدّد بتعدّد أزمنتها ، فالمفهوم الذي ساد قديمًا كان قائمًا علىٰ روابط التشابه بين التصوير والشعر، والخيال، والرسم، والعناية بالأشكال البلاغيّة للصورة: كالتشبيه، والاستعارة، والكناية.

ويرىٰ الدكتور غنيمي هلال أن التصوير قد ينتج من تراكيب حقيقية وعبارات وصفية مجردة "فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة

---

(١) الاتّجاه الوجدانيّ في الشعر العربيّ المعاصر، د/ عبد القادر القط، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨ م، ص ٣٩١.

التصوير، دالة علىٰ خيال خصب"[1] وعليه، فإنّ جماليّة الشعر وقوّة دلالاته تتمثّل في إيحاءاته اللفظية المتعددة.

وبالنظر في التصوير الفني في مديح النبي-ﷺ- عند ابن الجنان الأندلسي نجد كثرة الصور الحقيقية عن الصور المعتمد علىٰ وسائل البيان المختلفة: من تشبيه واستعارة وكناية، فالشاعر بصدد سرد حقائق ومواقف وذكر معجزات النبي -ﷺ-بعيدا عن الإطراء والمبالغات .

فمن الصور الفنية التي يهيمن عليها التعبير الحقيقي، ويقل فيها التصوير المجازي ما نطالعها في قوله: (الكامل)

خـــيرُ الأنامِ وخـــير مبعـــوثٍ أتـــى بالنورِ يصدعُ غيهبَ الظلماءِ
ختَّـــام ديـــوان الرســـالةِ والهـــدى فتَّاح باب شفاعةِ الشفعاءِ
ويشـــاهدُ الأشـــهادُ عـــزَّ مقامـــه وسموه في رتبةِ العلياءِ
فجمـــيعهم يرجـــو النـــبيَّ وإنمـــا يرجى العظيمُ لأعظمِ الأشياءِ
صلى عليه الله ما أسمـــاه في شرفٍ ومـــا أولاه بالأسماءِ [2]

فالشاعر يصور النبي -ﷺ- بالخيرية خير مبعوث وخير الأنام، جاء بالنور ليبدد به الظلام، خاتم الرسل شفيع أمته، الكل يرجوه للشفاعة، فالعظيم يُطلَب لأعظم الأشياء. فالصورة الحقيقية هي رسم قوامه الكلمات والعبارات، وإن خلا من التشبيه والاستعارات، إلا أن قدرة الشاعر الفنية أكسبت صوره الحيوية والجمال، من خلال تطويع ألفاظه الموحية.

(١) النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال صـ ٤٣٢

(٢) ديوان ابن الجنَّان ، صـ ٧٢

ومن الصور الفنية أيضا التي يهيمن عليها التعبير الحقيقي، ما نراها في سرد معجزاته ﷺ حين يقول:

سلامٌ على من خصه الله بالعلا وأسمى له فوق السموات مُصعدًا
سلامٌ على من سار في الليل سيداً فزار من البيت المقدس مسجدًا
سلامٌ على من رحبت بقدومه ملائكة قالت له اصعد لتسعدًا
سلامٌ على من حَلَّ بالسدرة التي هي المنتهى فاختل للصدق مقعدًا
سلام على من كان من قرب ربه كقابَ ولا أين هناك ولا لدىً
سلام على من أسند الله وحيه إليه فعن إسناده الدين أسنـــدًا (١)

فالناظر لهذه الصورة يجدها خالية من المجاز والاستعارة، فهي قائمة علىٰ الدعاء وسرد عبارات حقيقية الاستعمال، ومع ذلك فهي ذات تأثير بارع في الآخرين. ومن الصور التي يهيمن عليها الحقيقية أيضا تصوير معجزاته كما في قوله:

سلامٌ على من أظهر الله صدقه وشقّ له البَدر المنير ليشهدا
سلامٌ على من ردت الشمس إذ دعا وقد كاد سُجف الليل يسدل أسودا
سلام على من أوجب الله حقه على كل من فوق البسيطة أوجدا
سلامٌ على من جاءت الجن خضّعاً له إذ رأتْ أفق السماء مرصَّدا
سلام على من ظللـته بمكـة حمامٌ حكتْ ظلّ الغمامِ الممـدودا (٢)

(١) السابق ، صـ ٨١-٨٢

(٢) السابق ، صـ ٨٦-٨٧

ومن الصور الفنية البيانية ما نجدها في تصويره لمعجزات النبي -ﷺ- الفريدة، حين يقول: (الكامل)

وبدتْ شواهد صدقه قد قسّمت بَدرَ الدجى لقسيمهِ تقسيمَا
والشمسُ قد وقفت له لمـا رأت وجهاً وسيماً للنبيّ وسيمَا
كم آيةٍ نطقتْ تصدّق أحمـــدا حتى الجمادُ أجابه تكليمَا
والجذع حنّ حنين صبٍ مغـرم أضحى للوعات الفراق غريمَا
جلت مناقب خاتم الرسل الذي بالنـور خُتّم والهدى تختيمَا (١)

فالشمس وقفت إجلالا لعظمته، حتىٰ الجماد تكلم تصديقا للرسول -ﷺ- والجذع حن له حنين المغرم، عدة صور بيانية صورة معجزاته الواقعية تصويرا بديعا.

وإن كانت الصور البيانية تضفي علىٰ الصورة جوا من الحيوية والجمال، وتجعلها أكثر تأثيرا في الآخرين، إلا أن ابن الجنَّان الأندلسي طوع ألفاظه الحقيقية ومفرداته الموحية، لتكون أقرب للفنية الممتعة عن التقريرية المباشرة.

****** **** ***

(١) السابق ، صـ١٤٨-١٤٩

المطلب الرابع: الموسيقى الشعرية.

أولا: الموسيقىٰ الداخلية.

تتّسع الموسيقىٰ الداخلية لتشمل اختيار الشَّاعر لحروفه وألفاظه وإبداع صوره وأخيلته لإيجاد التَّناغم بين أجزاء الجُملة الشِّعريَّة وتحقيق الثّراء الموسيقي، وتكمن فيما يلي: التكرار، والجناس، وحسن التقسيم ، والتصريع.

يستخدمُ **التّكرار** لخدمةِ المعنىٰ وتقويته"فالتكرار لم يكن صنعة يتقصدها الشاعر ؛ وإنما كان ضربا من ضروب النغم ، يترنم به ليقوىٰ جرس الألفاظ وأثرها"[1] ليس هذا فحسب وإنما يعمل علىٰ توكيد المعاني فكانت "العرب إذا أرادت المعنىٰ مكنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد وهو علىٰ ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه، والثاني :تكرير الأول بمعناه"[2]

أ- التكرار ؛ وهو على أنواع:

١- **تكرار صوتي**: وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام، ممّا يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعاداً تكشف عن حالة الشاعر النفسية. فهذا النوع من التكرار لا يقتصر دوره علىٰ مجرد تحسين الكلام، بل يمكن أن يكون من الوسائل المهمّة التي تترك أثراً في أداء المضمون. ومن أمثلة هذا النوع عند ابن الجنّان ما نطالعها في قوله:

---

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د/ ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة –بغداد سنة ١٩٨٠م.

(٢) الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب ج٣/ ١٠١، سنة ١٩٥٦م

قد تشفعت من ذنوبي إلى ذي الـ عزةِ الواحد العليِّ السميعِ

فاشفع اشفع يا خاتم الرسل يوم الـ حشر والمشهد العظيم الفظيعِ(١)

ومن تكرار حرف السين ما نلحظه في قوله:

قد سلموا لنبينا تسليما صلوا عليه وسلموا تسليما(٢)

٢- **تكرار لفظي:** ويكون هذا التكرار ناتجاً عن أهمية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى، حيث تأتي مرّة للتأكيد أو لكشف اللبس، أو لأهمية المكرر فضلاً عن ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النصّ الشعريّ. ويتضح ذلك كما في قوله:

فاشفع اشفع يا خاتم الرسل يوم الـ حشر والمشهد العظيم الفظيع(٣)

ونلحظ تكرار الكلمة عندما يقول:

سلام على من كان أول مقدم إذا ما تلبى الناس في الناس عرَّدا(٤)

٣- **تكرار أسلوبي**: وهو تكرار يُظهر الأهمية التي يوليها الشاعر لمضمون تلك الجمل المكرّرة بوصفها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يريده الشاعر، فضلاً عمّا تحقّقه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام.

ومن هذا القبيل ما نلحظه في تكرار فعل الأمر (صلوا) كما في قوله:

---

(١) ديوان ابن الجنَّان ، صـ ١١٨

(٢) السابق صـ ١٥٢-١٥٤

(٣) ديوان ابن الجنَّان ، صـ ١١٨

(٤) ديوان ابن الجنَّان ، صـ ٩٢

صلوا على خير البريةِ خيما وأجلّ من حاز الفخارَ صميما
صلوا على من شرِّفت بوجوده أرجاء مكة زمزماً وحطيما
صلوا على أعلى قريشٍ منزلا بذراه خيّمت العلا تخييما (١)

فالشاعر يكرر (صلو علىٰ ..) سبع مرات متتالية مرة تلو مرة، جعل صدىٰ الأبيات كنغمة موسيقية متواصلة، هذا من الناحية اللفظية، وأخرىٰ معنوية وهي دلالة العدد سبعة علىٰ التكثير أي صلوا علىٰ النبي -ﷺ- لتقوىٰ من عزيمتهم، ويشحذ هممهم ويكثر حسناتهم، فالأمر بالصلاة علىٰ النبي يلفت انتباه السامعين ولاسيما بذكر فضيلة من فضائله ﷺ في الشطر الثاني عقب كل (صلو علىٰ).

ومن التكرار علىٰ مستوىٰ القصيدة بأكملها ما نجده في دعائه المكرر (سلام علىٰ) حين يقول:

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيداً
سلام على خير البرية شيمة وأكرمها نفساً وبيتاً ومحتدا
سلام على المختار من آل هاشمٍ إذا انتخبوا للفخر أحمدَ أمجدا (٢)

فالشاعر في تكراره لـ(سلام علىٰ) يتبعها باسم النبي -ﷺ- أو بصفة من صفاته، وما ذلك إلا لحبه وارتباطه بالنبي ﷺ، ودلل علىٰ إبراز تجربته الذاتية وشعوره النفسي تجاه ممدوحه، وبذلك نجح الشاعر في لفت انتباه السامعين من خلال هذا التكرير الدعائي اللازم طوال قصيدته.

(١) ديوان ابن الجنَّان، صـ١٤٨
(٢) السابق ، صـ ٨٠

ومن تكرار الجمل والمقاطع ما نلحظه في مخمسته المشهورة المكونة من تسعة وعشرين مقطعا كرر عبارة (صلوا عليه وسلمو تسليما)، يختم بها الشاعر مقطعه، ليلفت انتباه المتلقي بذكره ﷺ. حيث يقول:

شمس الهداية بدرُها الملتاحُ
قطبُ الجلالة نورها الوضاح
غيثُ السماحة للندى يرتاح
يروي بكوثرِه الظماء الهيما صلوا عليه وسلموا تسليما
تاج النبوة خاتم الإنباء
صفو الصريح خلاصة العلياءِ
نجلُ الذبيح سُلالة العلماء
بشرى المسيح دعاءُ إبراهيما صلوا عليه وسلموا تسليما[1]

إن تكرار مثل هذه اللازمة تعد بمثابة تنبيه السامع بانتهاء مقطع وابتداء مقطع جديد، فضلا عن إسهامها في تحقيق نغم موسيقي يتردد بين الفينة والأخرىٰ، أضف إلىٰ ذلك دلالته المعنوية التي تكشف عن صدق عاطفة الشاعر ومدىٰ حبه للنبي –ﷺ.

وبذلك كان للتكرار بأنواعه الثلاثة عند الشاعر أثر بالغ الأهمية من الناحية المعنوية والموسيقية في مدائح ابن الجنان الأنصاري . وقد تفنّن في استخدام التكرار في تجربته الشعرية هذه ليؤكد علىٰ أهمية الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

ولذا اتُّخذ التكرار وسيلة لتحقيق التناغم الداخلي للموسيقىٰ الداخلية، التي هي بلا شك أقوىٰ وسائل الإيحاء.

---

(١) ديوان ابن الجنَّان،صـ١٥٠.

ب- الجناس :

وهو تشابه اللفظين في اللفظ واختلافهما في المعنىٰ ، ويعد من أبرز الوسائل اللّغويّة لتكثيف النّغم الدّاخلي، وإحداث نغمات موسيقيّة مُتصاعدة. وينقسم إلىٰ:

أولاً: جناس تام (وهو اتفاق اللفظين في الحروف وعددها ووزنها) وجناس ناقص وهو ما اختلف اللفظان في الحروف أو عددها أو وزنها.

ومن ذلك قوله:

حكمت له بالفضل كل حكيمةٍ في الوحي جاء بها الكتاب حكيماً[١]

ومن الجناس ما نلحظه في قوله:

وبدتْ شواهد صدقه قد قسّمت بَدرَ الدجى لقسيمهِ تقسيما[٢]

وتتجلىٰ براعة ابن الجنان في تجنيسه في قوله:

والشمسُ قد وقفت له لما رأت وجهاً **وسيماً** للنبيّ **وسيـــما** [٣]

ومن الجناس الناقص الذي يحدث جرسا إيقاعيا متناغما قوله:

و**اشكرْه** كي تزدادَ من **نعمائه فالشكر فيه زيادةُ النعـــماء**[٤]

ومن التجنيس قوله:

ختَّام ديوان الرسالة والهدى فتَّاح باب شفاعة الشفـــعاءِ[٥]

---

(١) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٨

(٢)ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٩

(٣) ديوان ابن الجنَّان ، صـ١٤٩

(٤)ديوان ابن الجنَّان ، صـ ٧١

(٥)ديوان ابن الجنَّان ، صـ ٧٢

فضلا عما فيه من تكرير صيغة فعّال، ونلحظ التجنيس في قوله:

فجميعهم يرجو النبي وإنما يرجى العظيمُ لأعظم الأشياء(١)

وبذلك فقد أثرىٰ الجناس الموسيقىٰ الداخلية، وخرج عن رتابة الوزن ونمطيته الثابتة، فضلا عن تحقيق قيمة جمالية شكلية وصوتية.

ت- التصريع:

اعتمد ابن الجنان علىٰ التصريع في افتتاح قصائده، وهذا دليل علىٰ تمكنه واقتداره فسبب" التصريع مبادرة القافية؛ ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر"(٢) ليس هذا وفقط وإنما لإطراب السامعين. ومن التصريع قول ابن الجنان في تخميسته التي تشبه الموشح في بنائه :

صلوا على خير البريةِ خيما وأجلّ من حاز الفخارَ صميما (٣)

وقوله:

ذا رأفة بالمؤمنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليما (٤)

فنجد جميع أقفال الموشحة مصرعة، ومن ذلك قوله:

فاخضرّ ما قد كان قبل هشيما صلوا عليه وسلموا تسليما (٥)

---

(١) ديوان ابن الجنَّان ، صـ٧٢

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه المؤلف: أبو علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفىٰ: ٤٦٣ ç) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ ç - ١٩٨١ م ، جـ١/ ١٧٤، عدد الأجزاء: ٢

(٣) ديوان ابن الجنَّان صـ١٤٨

(٤) السابق صـ١٤٩

(٥) السابق ، صـ١٤٩

ومن التصريع قوله:

يا أرحمُ الخلقِ يوم الحشر والنّدمِ ارحم عُبيدَك يا ذا الطّول والنِّعمِ[1]

ونلحظ التصريع في قوله:

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا [2]

وبذلك نجد أن التصريع عند ابن الجنان بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور، وفائدته هنا أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها، فضلا عن دلالته علىٰ سعة القدرة في أفانين الكلام.

*** *** ***

(١) السابق صـ١٥٦

(٢) ديوان ابن الجنَّان ، صـ٨٠

ثانيا: الموسيقى الخارجية:

الشعر ماهو إلا كلام تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب، فالموسيقىٰ سحر سمعي يحدث أثرا في الوجدان، وتتمثل الموسيقىٰ الخاجية في الوزن والقافية و"الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية، ومشتمل علىٰ القافية وجالب لها ضرورة"[1]

اهتم ابن الجنان بالموسيقىٰ الخاجية من اختيار أوزان تناسبه وأشكال تتناسب والغناء كالمخمسات واعتمد فيها علىٰ اللزوميات وتكرار جملة (صلوا عليه وسلمو تسليما) احتاج شعراء الأندلس إلىٰ اللجوء لقصائد سهلة الإيقاع صالحة للإنشاد والترتيل، فمالو إلىٰ نظم قصائد تتوافق مع الإنشاد فكانت المخمسات والموشحات مادة للغناء، تتناسب والاحتفالات النبوية وتعتمد علىٰ مرتكزات، أو لزوميات تتكرر وتحدث نغما موسيقيا علىٰ فترات متلاحقة.

وقد نظم علىٰ عدد من البحور الشعرية كبحر الطويل والكامل والبسيط والخفيف والمجتث، ومن البحور التي أكثر من النظم عليها مدائحه النبوية بحر الطويل ولا سيما داليته التي تقع في مائة وأربعين بيتا، والتي يقول في مطلعها:

سلام على من جاء بالحق والهدى ومن لم يزل بالمعجزات مؤيداً

سلام على خير البريـــة شيمـــة وأكرمها نفساً وبيتـــاً ومحتـــدا [2]

وقد غلب علىٰ ابن الجنّان استخدامه للأوزان التامة ذات المقاطع الطويلة في مدائحه، فاحتل البحر الطويل المرتبة الأولىٰ عنده ثم البحر الكامل، والبسيط، ومن الكامل كما في قصيدته التي يقول فيها:

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لابن رشيق القيرواني، ج١/ صـ ١٣٤ .

(٢) ديوان ابن الجنَّان،صـ ٨٠

صلوا على الزاكي الكريم محمدٍ ما مثله في المرسلينَ كريـما
ذاك الذي حاز المكارمَ فأغتدت قد نظِّمت في سلكه تنظيما (١)

وبذلك فقد نوع الشاعر في نظمه علىٰ البحور التامة والمجزوءة، علىٰ عادة القدماء، كما سار علىٰ نهج عصره من تجديده في الأوزان فنظم علىٰ بحر الكامل تخميسة رائعة تتناسب مع الإنشاد، فقد برع في نظمه وجعل قوله: **صلوا عليه وسلموا تسليما** لازمة تتكرر طوال مقاطعه، مما زاد البيت جمالا وتناغما موسيقيا رائعا، وفي ذلك يقول:

إنَّ الرسولَ المعتلي المقدارِ
لمـــؤيـــدٌ من ربـــه القهـــارِ
بالمعجزات جلَتْ عمى الأبصارِ
وشفتْ من أدواءِ الضلال سقيما صلوا عليه وسلموا تسليمًا
كم شاهد لمحمدٍ بنبوته
في أيْد تأييدِ الإله وقوّته
فبذاك أعلى الله دعوةَ حجّته
فمضتْ حساماً صارماً وعزيما صلوا عليه وسلموا تسليما (٢)

وقد نوع في قوافيه في مخمسته إذا ما جاوزنا لزوميته الشبيهة بالقفل في الموشح التي ينهي بها مقاطعه، وقد بعد الشاعر عن الحروف النفر والثقيلة التي تنفر منها الآذان إلا ما ندر، وبذلك فقد جدد من حيث الشكل وفاق أقرانه من حيث الكم.

---

(١) ديوان ابن الجنان ، صـ ١٤٨

(٢) السابق ، صـ ١٥٢

القافية:

تعد القافية الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري، وهي الدفقة الموسيقية التي تمنحه وظيفة جمالية بتكرارها في آخر الأبيات، إذ هي آخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري، إذ يصل الإيقاع إلىٰ مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بين حروفها التي يشكل الروي والرِدف والتأسيس أبرز مظاهرها، فتشترك مع إيقاع البيت وتتجاوب معه في النسق العام، والقافية إما مطلقة أو مقيدة :

فالمطلقة يستمر معها الإيقاع الصوتي لفترة زمنية معينة، وهي الغالبة عند شاعرنا، ومن ذلك قوله:

خـير الأنام وخـير مبعـوثٍ أتـى ... بالنـور يصـدع غيهـبَ الظلمـاءِ
ختَّـام ديـوان الرسـالة والهـدى ... فتـاح باب شـفاعة الشـفعاءِ
ويشا هـد الأشهادُ عزَّ مقامه ... وسمـوه في رتبة العليـاءِ (١)

ومن القوافي المطلقة ما نلحظها في قوله:

سلام على من جاء بالحق والهدى ... ومن لم يزل بالمعجزات مـؤيدا
سـلام على خير البرية شيمـة ... وأكـرمها نفساً وبيتاً ومحتـدا(٢)

والقافية المقيدة يتوقف عندها حركة الإيقاع تماما مثل قوله:

يا رب بلـغْ سـلامي ... لأحمـدٍ ذي الشـفاعهْ
لخـاتم الرسـل أعـني ... إمـامَ تلـك الجماعـهْ
لأبهـرِ الخلـق مجـداً ... يحكـي الصـباحَ نصـاعهْ
لمن صفـاتُ عـلاه ... تعجـيزُ أهـل البراعـةْ(٣)

---

(١) السابق ، صـ ٧٢

(٢) السابق ، ص ٨٠ـ

(٣) السابق ، صـ ١١٦

ومن القوافي المقيدة أيضا ما نلحظها في قوله : (المجتث)

صلى على من تبدى نور الهدى من سماتــهْ
ومن علا الفخر لما نمى إلى معلواتــهْ
محمدٍ خيرَ هادِ بحلمــه وأنــاتــهْ
محمد خير مبدٍ لنا سنا معجزاتــهْ
أكــرم به من نبــيٍّ همت سما مكرماتــهْ[1]

وبالنظر عند في مدائح شاعرنا نجد أن القافية المطلقة فاقت المقيدة، من حيث الكم والكيف؛ لإخراج ما بداخل الشاعر من حب وإعجاب.

ومن أبرز مظاهر القافية وأوضحها حرف الروي، وهو النبرة أو الحرف التي ينتهي بها البيت، ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة كاملا.. وبالنظر في مدائح ابن الجنان، نجده قد نأىٰ عن الحروف الثقيلة، التي لا يثقل علىٰ اللسان نطقها: كالغين والشين والظاء، وبذلك كان للقافية أثر واضح في تناغم مدائح ابن الجنّان.

(١) السابق صـ ٧٤

الخاتمة

الحمد لله الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو علىٰ كل شيء قدير، ونصلي ونسلم علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين...

وبعد،،،

وبعد هذه الدراسة التحليلية في المديح النبوي لدىٰ ابن الجنَّان الأندلسي خلصت للنتائج الآتية:

❖ كانت المدائح النبوية في العصر الأندلسي علىٰ وجه العموم، وعند ابن الجنّان علىٰ وجه الخصوص بمثابة نموذج فني ونفسي، في زمن تراكمت فيه الأحزان وتوالت فيه الاضطرابات، فكانت بمثابة متنفس من هذه الوقائع والأحداث الأليمة.

❖ باتت شخصية الرسول تمثل النموذج الأمثل، والمثل المنشود في المدائح النبوية، فهو الرحمة المهداة، والسراج المنير، الذي يخفف أعباء الحياة عن كل المتألمين.

❖ نوع الشاعر وجدد في أشكال المدائح النبوية،كالمخمسات كي تساير الإنشاد وتتناسب مع المجالس الأدبية، وهذا الاهتمام دليل علىٰ التميز والتجديد في الشكل والموسيقىٰ.

❖ استوعبت نبويات ابن الجنّان مقاطع متعددة من حياة الرسول –ﷺ– واستعرضت مواقف تفصيلية لسيرته العطرة، دلت علىٰ ثقافته الدينية الواسعة، وخبرته الفنية في توظيفها في شعره.

❖ أبدع ابن الجنَّان في عرض صفات النبي -ﷺ- وتعداد معجزاته الفريدة، في أسلوب فني بعيد عن التقريرية المباشرة.

❖ دلت مدائحه عن مدىٰ اطلاعه علىٰ السيرة النبوية، التي كتبت لشعره الجودة والخلود.

❖ بدا من خلال مدائحه صدق عاطفة ابن الجنَّان الدينية، ونبضها بالحيوية والحياة الناتجة من حبه وإخلاصه الشديد للنبي -ﷺ- مما منحها الخلود والدوام.

❖ استند ابن الجنان في سرد معجزات النبي -ﷺ- إلىٰ عدد كبير من الأحاديث النبوية الصحيحة.

❖ دلت أشعاره في المديح النبوي علىٰ مدىٰ شغفه في طلب الشفاعة، من الحبيب -ﷺ- حيث نالت الشفاعة الجانب الأكبر من موضوعاته المدحية.

❖ يعد التوسل وطلب الشفاعة والصلاة علىٰ النبي -ﷺ- من أساسيات المديح النبوي إذ لا تخلو مدحة من ذلك.

❖ كان للموسيقىٰ الداخلية عند الشاعر أثر بالغ الأهمية في التناغم الموسيقىٰ الصوتي والمعنوي.

❖ اتسم معجم ابن الجنَّان بظاهرة تكرار بعض الألفاظ والعبارات؛ لإحداث تأثير في المتلقي، صانعا نغمة موسيقية وإيقاعا عذبا داخليا، عمل علىٰ إظهار قيمه الفكرية والنفسية علىٰ حد سواء.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الأحاديث النبوية:

❖ مسند الإمام أحمد ابن حنبل أبو عبد الله أحمد ابن حنبل ت ٢٤١ه، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولىٰ مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠١م.

ثالثا: المصادر:

❖ ديوان ابن الجنّان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، طبعه سنة ١٩٩٠م. د.ط

رابعا: المراجع:

❖ الاتّجاه الوجدانيّ في الشعر العربيّ المعاصر، د/ عبد القادر القط، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٨ م.

❖ الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/ محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

❖ أسس النقد الأدبي عند العرب، د/ أحمد أحمد بدوي، طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦م.

❖ أصول النقد الأدبي أ/ أحمد الشايب ، مطبعة الاعتماد. مكتبة النهضة المصرية ط٣/ ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م.

❖ أصول النقد الأدبي د/ أحمد الشايب ، ط ١٠سنة ١٩٩٤م طبعة جديدة منقحة .

❖ البيان والتبين للجاحظ جـ١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

❖ تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس) د/ شوقي ضيف، طبعة دار المعارف – القاهرة. ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور منجد مصطفىٰ بهجت، طبعه سنة ١٩٩٠م. د.ط

❖ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات – الأندلس) د/ شوقي ضيف، طبعة دار المعارف الطبعة الثانية–القاهرة.

❖ تاريخ الأدب العربي عمر فروخ، طبعة دار العلم للملايين بيروت لبنان سنة ١٩٨٤م.

❖ جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د/ ماهر مهدي هلال، دار الحرية للطباعة –بغداد سنة ١٩٨٠م.

❖ الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب جـ٣، سنة ١٩٥٦م

❖ الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، د/ محمد مجيد السعيد ،ـ دار الرشيد–بغداد سنة ١٩٨٠م.

❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه المؤلف: أبو علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، جـ١ .

❖ في النقد الأدبي الحديث د/ طه أبو كريشة ، طبعة الجريسي سنة ١٩٩٠ م .

❖ في النقد الأدبي د/ محمد طاهر درويش ، طبعة دار المعارف، القاهرة .

❖ القاموس المحيط ، الناشر : دار الفكر - بيروت – لبنان ، تاريخ الإصدار: ٢٠١٠م.

- قضايا النقد الأدبي المعاصر، د/ محمد زكي عشماوي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، سنة ١٩٧٥م.
- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر بيروت– لبنان.
- المدائح النبوية د/ زكي مبارك، طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.د.ت
- المدائح النبوية في الشعر الأندلسي، د/ فاطمة عمراني، نشر المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولىٰ، سنة ١٤٢٨ه.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، المتوفىٰ سنة ١٠٤١ه، تحقيق، د/ إحسان عباس، بيروت لبنان، سنة ١٩٦٨م .
- النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩م.
- النقد الأدبي عند العرب أصوله قضاياه تاريخه، د/ حنفي محمد شرف – مطبعة الرسالة سنة ١٩٧٠م .